العبادات القلبية
في رمضان

.....١٤٤٧هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

،

/ ، الرياض- ١٤٤٧هـ

ص:؛ سم: ١٤×٢١

رقم الإيداع: ٠٠٠/ ١٤٤٧

ردمك: ٠- ٠٠٠٠- ٠٠- ٠٠٠- ٠٠٠

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ- ٢٠٢٦م

العبادات القلبية في رمضان

تأليف

فواز بن لوفان الظفيري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره واستن بسنته إلى يوم الدين .. أما بعد:

فإن القلب هذه المضغة في أجسامنا، لها أهمية عظيمة في ديننا وشريعتنا، وجاءت آيات في كتاب الله تعالى عن هذا القلب، وقبل الشروع في المطلوب ما هو القلب؟ أو ما تعريف القلب؟

فَالعقل حِسًّا: هو المضغة المعروفة الصنوبرية التي في جوف الصدر. أما العقل معنًى: فهو العقل أو خالص الشيء، وقد يكون من خصائص الروح، فيكون الخطاب أصالةً لعقل الروح وقلبه لا عقل الجسد وقلبه، والله أعلم.

قال الأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في «معجم تهذيب اللغة»: «قال الليث: القلب: مضغة من الفؤاد معلقة بالنياط. وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾ [ق: ٣٧]. قال الفرَّاء: يقول لمن كان له عقل. قال: هذا جائز في العربية».

وقال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في «معجم مقاييس اللغة»: «القاف واللام والباء أصلان صحيحان: أحدهما يدل على خالص الشيء وشريفه، والآخر على ردِّ الشيء من جهة إلى جهة، فالأول: القلب:

قلب الإنسان وغيره، سمِّي لأنه أخلصُ شيء فيه وأرفعه، وخالص كل شيء وأرفعه قلبُه».

وقال الجوهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في «الصحاح»: «القلب: الفؤاد، وقد يُعبَّر به عن العقل».

إذن فقد أعاد علماء اللغة معنى القلب إلى: الفؤاد أو مضغة منه، والعقل، وخالص الشيء ومحضه. فَحِسًّا هو المضغة ومعنًى هو العقل أو خالص الشيء، وقد يكون من خصائص الروح وإليه أميل، والله أعلم.

وقد يعبر بالفؤاد والصدر عن القلب، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في تفسيره لآية البقرة: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: ٧]، فيه دليل على فضل القلب على جميع الجوارح، والقلب للإنسان وغيره، وخالص كل شيء وأشرفه قلبه، فالقلب موضع الفكر، وهو في الأصل مصدر قَلَبْتُ الشيء أَقْلِبُهُ قلبًا إذا رددته على بداءته،

إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الفائدة السادسة: القلب قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢]، وقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]، يعني في الموضعين، وقد يعبر به عن العقل، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [قّ: ٣٧]؛ أي:

عقل؛ لأن القلب هو محل العقل في قول الأكثرين، والفؤاد محل القلب، والصدر محل الفؤاد».

وفي الاصطلاح:

قال الجرجاني في «التعريفات»: «القلب: لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان، ويسميها الحكيم: النفس الناطقة، والروح باطنه، والنفس الحيوانية مركبة، وهي المدرك، والعالم من الإنسان، والمخاطب، والمطالب، والمعاتب».

القلب في القرآن والسنة:

ذكر الله القلوب في القرآن، بصيغ كثيرة:

فذكر الله الختم على القلوب، فقال: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [الآية: ٧]، وقال: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [الجاثية: ٢٣]، ومثله الطبع على القلوب، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [النحل: ١٠٨].

وذكر الله مرض القلوب، فقال: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ﴾ [البقرة: ١٠].

وذكر قساوة القلوب، فقال: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ﴾ [البقرة: ٧٤].

وقال: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

وذكر طمأنينة القلوب، فقال: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، وقال: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦].

وذكر طهارة القلوب، فقال: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وذكر زينة الإيمان في القلوب، فقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ [الحجرات: ٧].

وذكر غفلة القلوب، فقال: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف: ٢٨].

وذكر سلامة القلوب في موضعين، فقال: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]، وقال: ﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ٨٣ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الصافات: ٨٣-٨٤].

وأما في سنة النبي ﷺ فالأحاديث في ذكر القلوب كثيرة، وأشهرها:

(١) حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**ألا وإنَّ في الجسد مُضْغةً، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسدُ كُلُّه، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّه، ألا وهي القلب**». أخرجه البخاري ومسلم.

والمضغةُ: القطعة من اللحم، وسُمِّيت في الحديث مضغة إشارة إلى تصغير هذا العضو؛ لأن أصل المضغة قدر ما يمضغه الإنسان في فيه، كالأكلة للُّقمة.

والإنسان إنما شرَّفه الله تعالى على سائر الحيوان بهذا القلب، وأن هذا القلب لم يشرف من حيث صورته الشكلية؛ بل من حيث هو مقرُّ الإيمان والمعرفة؛ فهو أشرف الأعضاء، وأعزُّ الأجزاء[(١)].

(٢) وفي «صحيح مسلم» عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**تُعْرَضُ الفِتَنُ على القلوبِ كالحَصير عُودًا عُودًا، فأيُّ قلبٍ أُشْرِبُها، نُكِتَ فيه نُكْتةٌ سوداء، وأيُّ قلبٍ أنكرها، نُكِتَ فيه نُكْتةٌ بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضُرُّه فتنةٌ ما دامت السمٰواتُ والأرضُ، والآخر أسود مُرْبادًّا كالكُوزِ، مُجَخِّيًا**

(١) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم»، أبو العباس القرطبي، (٤/ ٤٩٦).

لا يعرف معروفًا، ولا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إلَّا ما أُشْرِبَ مِن هَواهُ».

(٣) وفي الترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكِتَتْ في قلبه نكتةٌ سوداء، فإذا هو نَزَعَ واستغفرَ وتابَ سُقلَ قلبه، وإنْ عادَ زِيدَ فيها حتى تعلو قلبه**»، وهو الرَّانُ الذي ذَكَر اللهُ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]».

وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله: «**إنَّ في الجسد مضغةً إذا صلَحت صلَح الجسد**» متصلًا بقوله: «**الحلالُ بيِّنٌ، والحرام بيِّنٌ**»؛ إشعارًا بأن أكل الحلال ينوره، ويصلحه، وأكل الحرام والشبهة يفسده، ويقسيه، ويظلمه[(١)].

القلب السليم:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝٨٧ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٧-٨٩].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «القلب السليم هو الذي سلم من الشرك والغل والحقد والحسد والشح والكبر وحب الدنيا والرئاسة، فسلم من كل آفة تبعده عن الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبره، ومن كل شهوة تعارض أمره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع

(١) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم»، أبو العباس القرطبي، (٤/ ٤٩٦).

يقطع عن الله. ولا تتم له سلامته مطلقًا حتى يسلم من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر، وهوى يناقض التجريد والإخلاص. وهذه الخمسة حجب عن الله، وتحت كل واحدة منها أنواع كثيرة، تتضمن أفرادا لا تنحصر. ولذلك اشتدت حاجة العبد، بل ضرورته، إلى أن يسأل الله أن يهديه الصراط المستقيم، فليس العبد أحوج منه إلى هذه الدعوة، وليس شيء أنفع له منها»[(١)].

وفي الآية قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

أقول: والحياة الطيبة لا تأتي إلا من أسباب، وبعد التأمل وجدت أن الحياة الطيبة تحصل للمؤمن من سلامته من أمراض القلوب: الكفر والشرك والحسد والبغضاء والغيبة والنميمة، وتكون بسلامة الصدر ونقاء السريرة.

وهو من خلال تطبيق هذا الحديث العظيم عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ففي حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «قيل لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أي الناس أفضل؟ قال: «**كل مخموم القلب صدوق**

(١) «الجواب الكافي» لابن القيم، (ص١٥١).

اللسان». قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: «**هو النقي، التقي، لا إثم فيه، ولا بغي، ولا غِلَّ، ولا حسد**» رواه ابن ماجه.

فنسأل الله تعالى أن يرزقنا هذه العبادات القلبية العظيمة، وأن يطهر قلوبنا من الأمراض التي تصيب القلوب، وأن يجعلنا مخلصين له الدين حنفاء.

ولذلك علينا بالدعاء والتضرع لله تعالى؛ فقد دعا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تثبيت قلبه: فعن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، آمَنَّا بِكَ، وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**» رواه الترمذي وصححه الألباني؛ وذلك لأن تثبيت قلب العبد على الدين وانصرافه إلى الحق من أعظم أسباب النجاة والفلاح، والعصمة عن كثير من الذنوب[١].

العبادات القلبية للصائم في رمضان:

ومن أهم العبادات القلبية في رمضان:

(١) **الإخلاص واحتساب الأجر**: صيام رمضان إيمانًا بفرضية الله

---

(١) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبلي.

واحتسابًا للأجر عنده، وليس عادة أو مجاراة للناس.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» متفق عليه.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» متفق عليه.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» متفق عليه.

يقول العلامة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في معنى حقيقة الإخلاص في «مجموع فتاواه»:

«الإخلاص: هو قصد الرب جَلَّ وَعَلَا بالعمل، هذا هو الإخلاص، أن يقصد المسلم بعمله وجه الله، والدار الآخرة، هذا المخلص، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وقال سبحانه: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ١٤].

فالمخلص هو الذي يقصد بعمله وجه الله، بصلاته.. بصومه.. بصدقاته.. بحجه.. بغير ذلك من العبادات يقصد وجه الله، يقصد التقرب إلى الله لا

لغيره، لا رياء ولا سمعة، ولا لقصد الدنيا، وإنما يفعل ما يفعل يرجو ثواب الله، ويرجو إحسانه عَزَّوَجَلَّ، هذا هو الإخلاص».

فالصائم يخلص لله تعالى صيامه وقيامه، وجميع أعماله الصالحة لا يريد بذلك رياءً ولا سمعةً؛ لأن الرياء يُبطل عمل العبد الذي عمله من أجل الرياء والسمعة بحسب قلته وكثرته، وربما يبطله بالكلية؛ فلنحذر من هذه الخصلة الذميمة، ولنحييَ قلوبنا بالإخلاص.

(٢) **المراقبة (استشعار قرب الله)**: من جميل ما قرأت: الصيام يُنمِّي في القلب مراقبة الله والحياء منه، حيث يترك الصائم شهواته في السر والعلن، مما يورث توقير الله وتعظيمه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعمِائَة ضِعْفٍ قَالَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ: **إِلا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ. وَلَخُلُوفُ فِيهِ (فمه) أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**» رواه البخاري ومسلم واللفظ له.

فمراقبة الله تعالى عبادة جليلة، من ثمراتها حسن العمل، وصلاح السرائر، والإكثار من عمل الصالحات.

وأيضًا تعظيم الله تعالى وأوامره وأوامر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣١].

ومن ثمارها: تعظيم الله تعالى الحياة السعيدة، وغفران الذنوب، ورفعة الدرجات، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

ومن ثمارها: مرافقة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ والصديقين والشهداء والصالحين، فيا لها من نعمةٍ عظيمة وخصلةٍ كريمةٍ عزيزة، يقول الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه العزيز: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ هُمْ مَعَهُمْ فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ، وَنَعِيمٍ وَاحِدٍ، يَسْتَمْتِعُونَ بِرُؤْيَتِهِمْ وَالْحُضُورِ مَعَهُمْ، لَا أَنَّهُمْ يُسَاوُونَهُمْ فِي الدَّرَجَةِ، فَإِنَّهُمْ يَتَفَاوَتُونَ، وَكُلُّ مَنْ فِيهَا قَدْ رُزِقَ الرِّضَا بِحَالِهِ». انتهى من «تفسير القرطبي».

(٣) **الخوف والرجاء**: الخوف من عدم قبول العمل أو العقاب، والرجاء في مغفرة الله وثوابه، وخصوصًا مع اقتراب ليلة القدر.

إن الله جَلَّوَعَلَا جعل صلاح عُبودية القلب في الخوف والرجاء والحبِّ، وهذا ما عَناه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في «روضة المحبين» بقولِه: «إن العبد إذا تذكَّر ذنبه تَنَفَّس بالخوف، وإذا لمَح رحمةَ ربه، وسَعة عفوه ومغفرته، تَنَفَّس بالرجاء، وإذا ذكَر جلاله وكماله وجماله، وإحسانه وإنعامه وفِضالَه، تَنفَّس بالحبِّ، فليَزِن العبدُ إيمانه بهذه الأنفاس الثلاثة؛ ليَعلَم ما معه من الإيمان.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١].

عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: يا رسول الله، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر، وهو يخاف الله عَزَّوَجَلَّ؟ قال: «**لا يا بنت أبي بكر، يا بنت الصديق، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق، وهو يخاف الله** عَزَّوَجَلَّ». رواه الترمذي.

أما الرجاء: فهي عبادة عظيمة جليلة، والدليل على أن الرجاء عبادة، وأن الله مدح أهله، وجعله صفة لعباده المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨]، وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وفي «صحيح مسلم» عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول -قبل موته بثلاث-: «**لا يموتنَّ أحدُكم إلا وهو يُحسِن الظنَّ بربه**».

وفي «الصحيح» عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يقول الله** عَزَّوَجَلَّ: **أنا عند ظن عبدي بي، فليظنَّ بي ما شاء**».

وكل مسلم محتاج إلى الرجاء؛ لأن المسلم يدور بين ذنب يرجو غفرانه، وعيبٍ يرجو إصلاحه، وعملٍ صالح يرجو قبوله، واستقامةٍ يرجو حصولها وثباتها، وقربٍ من الله يرجو الوصول إليه؛ ولذلك كان الرجاء من أهم الأسباب التي تُعين المرء على السير إلى ربه، والثبات على دينه[(١)].

وفي رمضان تتجلى عبادة الرجاء فيرجو المسلم من ربه قبول أعماله من صيام وقيام وصدقة وأعمال صالحة، فيدعو الله تعالى محسنًا ظنه بربه أن يتقبل عمله خالصًا لوجهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(٤) **حسن الظن بالله**: وهي عبادة من العبادات القلبية العظيمة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**» رواه البخاري ومسلم.

---

(١) شبكة الألوكة.

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في «إكمال المعلم»: «قيل: معناه: بالغفران له إذا استغفرني، والقبول إذا أناب إليّ، والإجابة إذا دعاني، والكفاية إذا استكفاني؛ لأن هذه الصفات لا تظهر من العبد إلا إذا أَحسن ظنه بالله وقوى يقينه» انتهى[(١)].

وقال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-: «وإحسان الظن بالله لابد معه من تجنب المعاصي وإلا كان أمنًا من مكر الله، فحسن الظن بالله مع فعل الأسباب الجالبة للخير وترك الأسباب الجالبة للشر: هو الرجاء المحمود. وأما حسن الظن بالله مع ترك الواجبات وفعل المحرمات؛ فهو الرجاء المذموم، وهو الأمن من مكر الله»[(٢)].

فحسن الظن بالله مشكاة تضيء للمسلم طريقه في الحياة، وفي الصيام تتجلى هذه العبادة العظيمة بحسن الظن بالله تعالى بأنه يغفر لعباده ويعط لهم الأجور، ويدخلهم الجنة، فسبحانه من رب رحيم كريم.

(٥) **التوبة الصادقة والعمل الصالح**: ومن جميل ما قرأت أن: رمضان فرصة لتنقية القلب من أمراضه كالحقد والحسد، والإنابة إلى الله تعالى.

---

(١) من «إكمال المعلم» (٨ / ١٧٢).

(٢) «المنتقى من فتاوى الشيخ الفوزان» (٢ / ٢٦٩).

ومن رحمة الله بعباده أن يفتح لهم باب التوبة، وأن يقبل عثرة المذنب، ويفسح له الأمل ولا يوئسه من رحمته، ولا يغلق الباب في وجهه.

فقد أمر عباده جميعًا، ومنهم المؤمنون بالتوبة فقال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، والتوبة بحد ذاتها عبادة وذكر، ولو لم يكن من المؤمن ذنب ظاهر، فإن الإنابة إلى الله وإظهار الخضوع له، وبيان التقصير عن أداء واجب الشكر على نعم المولى جَلَّجَلَالُهُ، هذه الإنابة إلى الله عبادة، وإظهار هذا الخضوع له عبادة؛ لذا قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**يا أيها الناس، توبوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم إليه مئة مرة**» رواه مسلم.

وفي رمضان فرصة للتوبة، ومن كان يعمل ذنوبًا؛ فالقلوب متوجهةً إلى الله تعالى، والشياطين مصفدة، وأبواب الجنة مفتحة، وداعي كل ليلة يقول: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر.

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إذا كانت أول ليلة من رمضان، نادى منادٍ: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر**»، رواه بن ماجه والحاكم.

وعن عرفجة قال: كنتُ عند عتبة بن فرقد، وهو يُحدِّثُ عن رمضان،

فدخل علينا رجل، من أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحدَّث عن رمضان، فقال: سمعتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**في رمضان تُغلق فيه أبواب النار، وتفتح فيه أبواب الجنة، وتصفَّد فيه الشياطين، وينادي فيه ملك: يا باغي الخير أبشر، يا باغي الشر أقصر، حتى ينقضي رمضان**» رواه أحمد.

وإذا استكملت التوبة شروطها، فليكن المرء على يقين من قبولها، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وعد بذلك، ولا يخلف الله وعده، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥].

شروط التوبة:

وإن كان الذنب بين العبد وربه، يشترط للتوبة ثلاثة شروط:

١- **الإقلاع عن الذنب**: بترك كل محظور هو ملابس له، فإن البقاء على مقارفة الذنب، تناقض وكذب، كيف يقول إنه يرجع عن الذنب وهو مستمر عليه.

٢- **الندم على ما فرّط فيه**: من المآثم التي استجاب فيها لداعي الهوى، وأطاع الشيطان، وعصى ربه الرحمن، ومن تمام الندم وصدق صاحبه: أن يشعر بألم الندم، وطول الحسرة والحزن، وأن يسكب الدمع كلما تذكر ذنوبه، وأن تتمكن مرارة تلك الذنوب في قلبه بدلًا من حلاوتها.

٣- **العزم على عدم العودة إلى الذنوب عامة وإلى ما اقترفه خاص.**

وإذا كانت المعصية تتعلق بحق من حقوق العباد كاعتداء على شخص أو أكل ماله أو التعرض لعرضه.

٤- يُزاد شرط رابع، وهو: **الاستبراء والتخلص من حق الشخص** بالمسامحة أو المقاصة أو التعويض، فإن فاته الشخص لسبب ما، فإن كان الحق ماليًّا فليتصدق بمقداره عنه، وإن كان غير ذلك فليستغفر لصاحبه ويدعو له.

وإذا توفرت هذه الشروط في التوبة سميت نصوحًا، ويرجى أن يكون صاحبها من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

(٦) **الصبر**: عبادة تتجلى في حياة المسلم، ولا يمكن للمسلم أن تستقيم حياته بدون صبر، فهي عبادة عظيمة من أجلِّ العبادات القلبية.

والصبر: هو حبس النفس على الاستقامة على طاعة الله، وحبسُها عن المحرَّمات، وحبسُها عن التسخُّط لأقدار الله المؤلمة.

وأنواع الصبر ثلاثة: صبرٌ على الطاعات فتؤديها، وصبرٌ عن المحرَّمات فتجتنبها، وصبرٌ على أقدار الله المؤلمة، يقول الله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١]، وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣].

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعًا».

والإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥][(١)].

ويتجلى الصبر في رمضان على طاعة الله، والصبر عن المعاصي، والصبر على مشاق الصيام، وهو عبادة قلبية تُظهر كمال العبودية.

(٧) **عبادة التوكل على الله تعالى**: وهو الاعتماد الكلي على الله تعالى

---

(١) «مدارج السالكين» لابن القيم.

في العبادة، وطلب العون على طاعته، وعلى منافع حياته الدنيوية ومصالحه الأخروية.

وهو من أهم العبادات القلبية، وهو أعلى مقامات توحيد الله جَلَّوَعَلَا، والمسلم إذا عرَف ربَّه معرفة صحيحة بأسمائه وصفاته، فإن ذلك يُورِث في نفسه ثقة عظيمة بالله عَزَّوَجَلَّ، فيركَن إليه العبد، ويفوِّض أمره إليه، ويعلِّق قلبه به وحده دون سواه؛ لأن الله سبحانه وحده الذي يملك النفع والضر، والعطاء والمنع، والكفاية والنصر، وبهذا يجتمع شَعْثُ القلب، وتسكُن النفس، ويطمئن العبد، ويستريح من ألوان المعاناة التي تحصل لغير المتوكلين على الله عَزَّوَجَلَّ، فهو بحاجة إلى الله عَزَّوَجَلَّ في كل لحظة، فالتَّوَكُّل اعتمادُ القلب على الله سبحانه، واستناده إليه، وسكونه إليه، وتفويض الأمور كلها إليه سبحانه، القادر على كل شيء، القوي الخالق العظيم، وقَطْعُ علائق القلب بغير الله عَزَّوَجَلَّ[1].

تعريف التَّوَكُّل:

أولًا: التَّوَكُّل في اللغة.

يقال: وَكِلَ بالله، وتوكَّل عليه، واتَّكَلَ: استسلم إليه، وتوكَّل بالأمر:

---

(١) محمد العبدلي، شبكة الألوكة.

إذا ضمِن القيام به، ووَكَلْتُ أمري إلى فلان: اعتمدت في أمري عليه، ووَكَّلَ فلان فلانًا: إذا عجز عن القيام بأمر نفسه، أو وثق فيه بأن يقوم بأمره، ووَكَلَ إليه الأمر: سلَّمه[١].

وقال الزبيدي: «وحقيقة التَّوَكُّل: إظهار العجز والاعتماد على الغير»[٢].

ثانيًا: التَّوَكُّل في الاصطلاح.

لأهل العلم تعريفات متعددة؛ منها:

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو صدق اعتماد القلب على الله عَزَّوَجَلَّ في استجلاب المصالح، ودفع المضارِّ، من أمور الدنيا والآخرة كلها»[٣].

وقال سعيد بن جبير: «التَّوَكُّل جِماع الإيمان»[٤].

وقال الحسن: «إن توكُّل العبد على ربِّه أن يعلم أن الله هو ثقته»[٥].

---

(١) «لسان العرب» (١١/ ٧٣٤).

(٢) «تاج العروس» (٣١/ ٩٨).

(٣) «جامع العلوم والحكم»، ت: ماهر الفحل، (٣/ ١٢٦٦).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف»، وأبو نعيم في «الحلية»، وينظر: «جامع العلوم والحكم» (٣/ ١٢٦٦).

(٥) «جامع العلوم والحكم» (٣/ ١٢٦٦).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التَّوَكُّل هو صدق الاعتماد على الله عَزَّوَجَلَّ في جلب المنافع، ودفع المضار، مع فعل الأسباب التي أمر الله بها»(١).

فينبغي على الإنسان أن يأخذ بالأسباب، لكن من غير اعتماد عليها، فالأخذ بالأسباب هو سَيْرٌ على السنن الكونية، وأن النافع والضار هو الله وحده؛ قال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وسرُّ التَّوَكُّل وحقيقته هو اعتماد القلب على الله وحده، فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلوِّ القلب من الاعتماد عليها والركون إليها، كما لا ينفعه قوله: (توكلت على الله)، مع اعتماده على غيره، وركونه إليه، وثقته به، فتوكُّلُ اللسان شيء، وتوكُّلُ القلب شيء، كما أن توبة اللسان مع إصرار القلب شيء، وتوبة القلب وإن لم ينطق اللسان شيء»(٢).

واتخاذ الأسباب أمر مشروع؛ فقد كان أكبر المتوكلين على الله وأعظمهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتخذ الأسباب في مواقف كثيرة؛ ليبيِّنَ لأمَّته أن اتخاذها لا ينافي التَّوَكُّل؛ ففي طريقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الهجرة اتخذ دليلًا

---

(١) «مجموع فتاواه» (١/ ٦٣).

(٢) «الفوائد» (ص٨٧).

يرشده إلى الطريق، وخرج في وقت يغفُل فيه الناس، ومن طريق غير الطريق التي تُسلَك عادةً، وفي يوم أُحُدٍ لبِس درعين واحدًا فوق الآخر، ووضع الْمِغْفَرَ على رأسه حين دخل مكة يوم الفتح.

ومما يدل على أهمية الأخذ بالأسباب حديثُ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لو أنكم تتوكلون على الله حقَّ توكُّله، لَرَزَقَكُم كما يرزق الطير؛ تغدو خِماصًا، وتروح بِطانًا**»[(١)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ معلقًا على الحديث: «إخبار بأنه سبحانه يرزق المتوكلين عليه من حيث لا يحتسبون، وأنه لا يخليهم من رزق قط، كما ترون ذلك في الطير، فإنها تغدو من أوكارها خماصًا، فيرزقها سبحانه حتى ترجع بطانًا من رزقه، وأنتم أكرم على الله من الطير وسائر الحيوانات، فلو توكلتم عليه، لَرَزَقْكم من حيث لا تحتسبون، ولم يمنع أحدًا منكم رزقَه، هذا من قبيل الإخبار»[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٠٥)، وقال محققوه: «إسناده قوي، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبدالله بن هبيرة، فمن رجال مسلم»، والترمذي في «سننه» (٢٣٤٤)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣١٠).

(٢) «جلاء الأفهام» (ص٢٨٧).

ثمرات التَّوَكُّل:

الحديث عن ثمرات التَّوَكُّل يُحرِّك النفوس، ويدفعها إلى التمسك بهذا الخُلُق الإيماني العظيم، وذلك أن معرفة ثمرة العمل حافز على فعله والتحقق به، فمن ثمراته ما يلي:

أولًا: أنه يبعث العبد على التزام حدود الله تعالى، ومجانبة الحرام؛ وذلك أن الإنسان إذا علِم أن رزقه مقسومٌ، وأن ما كتب الله عَزَّوَجَلَّ له كائن لا محالة، وأنه مهما عمِل واجتهد واحتال على طلب المال، فلن يأتيَه منه إلا ما كتب الله تعالى، فيكون مفوِّضًا إلى الله سبحانه أمره كله، ويطلب الرزق من حِلِّه، ويَدَع الحرام.

ثانيًا: طمأنينة النفس وارتياح القلب، وطرد الهم: فإذا توكل العبد على ربه حقَّ التَّوَكُّل، كفاه همَّه، وأراحه مما أهمَّه، وأنزل عليه سكينته، فاطمأنَّ إلى حكمه الديني الشرعي، واطمأن إلى حكمه الكوني القدري.

ثالثًا: ما يحصل من كفاية الله عَزَّوَجَلَّ للمتوكِّل عليه في أموره كلها: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]؛ أي: كافِيهِ؛ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتَّوَكُّل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخَلْقِ وظلمهم وعدوانهم، وهو من أقوى الأسباب في

ذلك، فإن الله حسبه؛ أي: كافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه، فلا مطمعَ فيه لعدوِّه، ولا يضره إلا أذًى لا بد منه؛ كالحر والبرد، والجوع والعطش، وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده، فلا يكون أبدًا...»، وذكر كلامًا إلى أن قال: «بل جعل نفسه سبحانه كافيَ عبده المتوكِّل عليه وحَسْبَه وواقيه، فلو توكَّل العبد على الله تعالى حق توكله، وكادته السمٰوات والأرض ومن فيهن، لَجَعَلَ له مخرجًا من ذلك، وكفاه ونصره»[(١)].

وقال الربيع بن خثيم في قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: ٢]: «من كل شيء ضاق على الناس»[(٢)].

رابعًا: التَّوَكُّل من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار، قال الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وأصحابه: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤]؛ قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ «تفسيره»: «لما توكلوا على الله، كفاهم ما أهمَّهم، ورَدَّ عنهم بأس من أراد كيدهم، فرجعوا إلى بلدهم ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾، مما أضمر لهم عدوهم، ﴿وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ

---

(١) «بدائع الفوائد» (٢/ ٧٦٦-٧٦٧).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة، وأحمد في الزهد، وابن جرير في «تفسيره».

ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٧٤]»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فعقَّب هذا الجزاء والحكم لذلك الوصف والعمل بحرف الفاء، وهي تفيد السبب؛ فدلَّ ذلك على أن ذلك التَّوَكُّل هو سبب هذا الانقلاب بنعمة من الله وفضل، وأن هذا الجزاءَ جزاءٌ على ذلك العمل»[(٢)].

خامسًا: أنه يُورِث محبة الله عَزَّوَجَلَّ للعبد: إن الله سبحانه قد وعد عباده المتوكلين عليه بالمحبة، ووعدُهُ عَزَّوَجَلَّ لا محالة واقع؛ قال الله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، والمحبة كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخِص العاملون، وإلى علمها شمَّر السابقون، وعليها تفانى المحبون، نسيمَها تروَّحَ العابدون؛ فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقُرَّةُ العيون»[(٣)]، إلى آخر كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

سادسًا: التَّوَكُّل يُورِث قوةَ القلب وشجاعته وثباته، والصبر والتحمل.

---

(١) (٢/ ١٧١).

(٢) «جامع الرسائل» لابن تيمية - رشاد سالم (١/ ٩٠).

(٣) «مدارج السالكين» (٣/ ٨).

سابعًا: التَّوَكُّل يُورِث النصر والتمكين، قال الله عَزَّوَجَلَّ قارنًا بين النصر والتَّوَكُّل: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

ثامنًا: التَّوَكُّل يقوِّي العزيمة والثبات على الأمر، لذلك أمر الله عَزَّوَجَلَّ نبيَّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إذا عزم أن يتوكل على الله تعالى؛ فقال: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وكمال العبد بالعزيمة والثبات.

تاسعًا: التَّوَكُّل على الله يَقِي بإذن الله عَزَّوَجَلَّ من تسلُّط الشيطان، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٨-٩٩].

العاشر: التَّوَكُّل على الله من أعظم أسباب دفع السِّحْرِ والحسد والعين، سبق الإشارة إلى ذلك في الكلام على الثمرة الثالثة عند قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: «أن كثيرًا من المرضى يُشفَون بلا تداوٍ، ولاسيما أهل الوَبَر والقرى، بدعوة مستجابة أو رقية نافعة، أو قوة للقلب وحسن التَّوَكُّل»[(١)].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢١/ ٥٦٣)، بتصرف يسير.

الحادي عشر: التَّوَكُّل من أسباب تحصيل الرزق، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق: ٢-٣].

الثاني عشر: أن التَّوَكُّل يطرد عن قلب العبد داء الكِبْرِ والعُجْبِ.

الثالث عشر: أن التَّوَكُّل يُورِث الرضا بالقضاء، وهذا من أعظم ثمراته.

الرابع عشر: التَّوَكُّل سبب لدخول الجنة من غير حساب ولا عذاب، كما في حديث السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، فوصفهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بأنهم: «**لا يَسْتَرْقُون، ولا يتطيَّرون، ولا يَكْتَوُون، وعلى ربهم يتوكلون**» متفق عليه.

الخامس عشر: التَّوَكُّل يُورِث صاحبه الغِنى عن الخَلْقِ، وهذه خَلَّةٌ شريفة، ومن افتقر إلى الناس، ذلَّ وذهب ماء وجهه، واستثقله الناس، ومن استغنى عنهم واكتفى بالله، عزَّ.

قال الإمام ابن حبان البستي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الواجب على العاقل لزوم التَّوَكُّل على من تكفَّل بالأرزاق؛ إذ التَّوَكُّل هو نظام الإيمان، وقرين التوحيد، وهو السبب المؤدي إلى نفي الفقر، ووجود الراحة.

وما توكل أحدٌ على الله جَلَّ وَعَلَا من صحة قلبه، حتى كان الله جَلَّ وَعَلَا

بما تضمن من الكفالة أوثق عنده بما حَوَتْهُ يده، إلا لم يَكِلْه الله إلى عباده، وآتاه رزقه من حيث لم يحتسب»[(١)]. انتهى.

هذه بعض العبادات الجليلة العظيمة للصائم في رمضان وهناك عبادات كثيرة لكن هذه بعضها و«ما لا يدرك كله لا يترك جله».

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباده الموحدين، المتوكلين عليه، السائرين على سنة نبيه محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يجعلنا محققين لعبادته على الوجه الذي يرضيه عنا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

جمعه الفقير إلى ربه الغني الكريم:

فواز بن لوفان الظفيري

الخامس من رمضان لعام ١٤٤٧هـ

(١) محمد العبدلي، شبكة الألوكة.